تاريخ الاستلام: 2021/05/01 تاريخ القبول: 2021/05/31 تاريخ النشر: 2021/06/30

د. هشـــام بوبكـــر [1] *
جامعة 20 اوت 1955 –سكيكدة (الجزائر)
Email : Hichemboub@gmail.com
أ. دليلـــة بولكلـــوك [2]
جامعة 20 اوت 1955 –سكيكدة (الجزائر)
Email : boulekloukdalila@gmail.com

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 15/ العـدد 01 –السنة 2021 ص ص 483–516
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152

الملخص

هدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على واقع وتحديات الهوية الافتراضية والتي تعتبر من المفاهيم المستجدة في الحقول البحثية الأكاديمية الرائدة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، خلال السنوات الأخيرة. في ضوء المعطيات الكونية المعاصرة التي خلقت أنماط اتصالية وتشبيكية جديدة، وأدت إلى بروز صيغة جديدة للمجتمع التقليدي يطلق عليه المجتمع الشبكي. وأضحت الهوية تبنى ضمن سياقات اجتماعية وثقافية عالمية لامحدودة، بفعل تأثير الفضاءات السيبرانية التي أعطتها دلالات جديدة أوسع من الفضاءات المحلية، وفتحت آفاقا غير مسبوقة للأفراد وساهمت في استنبات ونحت هويات افتراضية جديدة. حاملة في طياتها رهانات وتحديات وإشكالات جديدة لا يمكن حصرها حول إمكانية وكيفية تبنيها من طرف الأفراد فحسب، بل تتعدى ذلك إلى خلق صراع جديد بين الهوية الفعلية والهوية الافتراضية والذي ألقى بضلاله علينا في الوقت الحاضر.

الكلمات المفتاحية : *الهوية، الهوية الافتراضية، الفضاء السيبراني، المجتمع الشبكي، تمثلات.*

Abstract

Through this research paper, we aim to highlight the reality and challenges of virtual identity, which is one of the emerging concepts in leading academic research fields in the social and human sciences, in recent years. In light of contemporary cosmic data that has left new communication and networking patterns, and led to the emergence of a new formula for traditional society called network society. Furthermore, identity has become built into unlimited global social and cultural contexts, driven by the influence of cyberspaces, which have given it new connotations wider than local spaces. It also opened unprecedented horizons for individuals and contributed to the breeding and carving new virtual identities, bringing new bets, challenges and problems that cannot be only limited to the possibility and how to adopt them by individuals, but also to create a new conflict between real and virtual identity, which has now misled us at present.

Keywords: *Identity, Virtual Identity, Cyberspace, Network Society, Representation*

* المؤلف المرسل

مقدمة:

شكلت مسألة الهوية بمعناها المحلي أو بالأحرى بمعناها التقليدي جوهر اهتمامات الباحثين في علم الاجتماع منذ الأزل، ولكن مع انبلاج فجر الألفية الثالثة بزغت ثقافة رقمية وثورة اتصالية وطفرة معلوماتية، بشكل منقطع النظير، انسابت بليونة وأفرزت تحولات متسارعة مست جميع البنى واخترقت وتغلغلت في مفاصل مختلف الأنظمة والأنساق الاجتماعية وهيمنت على أنماط التفكير المتداولة، ومختلف السلوكيات، كما غيرت من إدراكنا لذواتنا وللعالم من حولنا، وعملت على خلق ثقافة نمطية كونية مهيمنة أقل ما يقال عنها أنها ثقافة مبتذلة، تجاوزت الحدود وألغت الخصوصية الثقافية والقيمية للجماعات الاجتماعية. وأفرزت مجتمعات جديدة افتراضية ككيانات تكنو-اجتماعية جديدة أقل ما يقال عنها أنها مجتمعات لا قيد ولا ضابط سواء اجتماعي أو ثقافي أو جغرافي أو زمني لها. هذه التحديات طرحت موضوع الهوية من جديد للنقاش والتداول بشكل مستفيض ولكن في صيغتها الجديدة، خاصة في الآونة الأخيرة، وأثيرت بشأنها اشكالات جمة جعلت منها قضية مستجدة وهذا بفعل تأثير نظم الاتصال الرقمي التي ساهمت في تغيير ملامحها بشكل جذري. حيث برزت حركة ديناميكية سمحت ببلورة أشكال جديدة للهوية مختلفة عن السياق المتعارف عليه، وانتقل موضوع الهوية من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي نتيجة التغيرات الحاصلة، وفي ظل بروز نمط جديد من المجتمعات وهو المجتمع الشبكي كأحد افرازات العولمة وما فرضه من تحديات حول الهوية، كرس مفهوما آخر وهو مفهوم الهوية الافتراضية، حيث ساهم في انبعاث هذا المفهوم الجديد، كما ساهم في انبلاج مساحات جديدة غيرت من طرق تشكيل الجماعات والذي انعكس على الأنا والذات/الهوية البشرية. وبرزت هويات متعددة تحت مسمى الهويات الافتراضية، استقت تسميتها من الفضاءات الافتراضية التي انبثقت من التقانة، مستجيبة بذلك

لمتطلبات العصر. وتبنى هذه الهوية وتصطنع في اللامكان واللازمان واللاواقع. فبعد أن كانت الهوية تعتبر من الثوابت القومية للشعوب والأمم إلا أنها ومع التسارع التكنولوجي وظهور الانترنت واستخدامها على نطاق واسع، خاصة مع بروز الشبكات الاجتماعية الافتراضية، والذي يعتبر الفيسبوك أكثرها شيوعا وتداولا، والتي عرفت تأثيرا كبيرا على كل المجالات والأصعدة بما فيها الاجتماعية والثقافية والتي تدخل الهوية ضمن سياقاتها. فمن وراء الكم الهائل للمعلومات يتحور كل ما هو تقليدي ومحلي، ويندرج قسرا في نسقية كونية متسارعة، ليصبح افتراضي وعالمي. مما أدى إلى تشكيل رأسمال اجتماعي افتراضي ومنظومات رمزية سوسيوثقافية ضمن السياق الافتراضي. ويمكن القول أن هناك تحديات شتى ذات أبعاد متشعبة تفرض على المجتمعات التقليدية. وتجرنا قسرا إلى محاولة رصد ظاهرة الهوية الافتراضية كمفهوم محفوف بالتحديات، في ضوء ما تعيشه المجتمعات المعاصرة من تدفق هائل وسريع للمعلومات، اندرجت تحته تحولات مست جميع الفضاءات العمومية التقليدية وحولتها الى فضاءات افتراضية مستجدة تحتضن المجتمع برمته. وسنحصر زاوية النظر هنا في بعد محدد وهو واقع الهوية الافتراضية وأهم التحديات المحتملة التي يمكن أن تواجهها.

ولمناقشة حيثيات هذا الموضوع ارتأينا طرح التساؤلات التالية:

ماهي الهوية الافتراضية؟ وكيف تتشكل هذه الهوية عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية والفضاءات السيبرانية؟ وأي دور تلعبه هذه الأخيرة في تشكيل واصطناع هويات افتراضية؟ وما طبيعة الهوية الافتراضية؟ وهل يمكن للهوية الافتراضية أن تحل محل الهوية الواقعية؟ أم أن هناك تمازج وتكامل وتداخل بينهما؟ وما انعكاساتها المحتملة على الهوية الفردية؟

1. مدخل مفاهيمي:

1.1. مفهوم الهوية:

مفهوم الهوية في علم الاجتماع متعدد الجوانب، ويمكن مقاربته من عدة زوايا. فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم. ويتشكل هذا الفهم انطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة ومن مصادر الهوية: الجنوسة، والتوجه الجنسي والطبقة الاجتماعية، ويتحدث علماء الاجتماع في العادة عن نوعين من الهوية هما: الهوية الاجتماعية والهوية الذاتية (أو الهوية الشخصية)، ويمكن التمييز بين هذين النوعين عن طريق التحليل غير أنهما مترابطان بشكل وثيق. ومن الأمثلة على الهوية الاجتماعية: الطالب، الأم، المحامي. وقد يكون الفرد نفسه أما، مهندسة، مسلمة، وعضوا في المجلس البلدي، وتعدد الهويات الاجتماعية يعكس أبعادا عديدة من حياة الناس. (أنتوني غيدنز، 2005، ص90)

ويعرف معجم التفكير السوسيولوجي الهوية بكونها: "تشير –في معناها العام–إلى قدرة فرد أو جماعة على أن يتعرف على ذاته ويتعرف إليه الآخرون، فهي تتضمن معنى الديمومة والتماسك داخل التعددية الرمزية والاجتماعية". (عادل بن الحاج رحومة، 2010، ص137)

والهوية حسب "خالد عبد الله القاسم" هي جمع لثلاث عناصر أساسية: اللغة، العقيدة والثقافة وكل ما يشمل الإرث الثقافي طويل المدى.

كما تذهب "سعاد توهامي" من خلال دراستها حول "واقع تكنولوجيا الاعلام والاتصال في المغرب" إلى صياغة تعريف لمفهوم الهوية مركزة على الجانب الذاتي للإنسان، ففي نظرها الهوية عبارة عن ذلك البناء المعنوي للذات الذي يتم من خلاله تمييز ملامح ومجموعة من الخصائص لشخص معين أو مجموعة من الأشخاص تجعل

من شخصهم، شخصية مميزة وفريدة، فمن خلال إدراكهم لذاتهم يستطيعون التعرف على ذات الآخرين. (ابتسام رايس علي ومحمد ميلودي، 2019، ص264)

تعتبر الهوية جزء لا يتجزأ من بناء شخصية الإنسان وذاته ومنشأه، وهي مجموع القيم السلوك والمبادئ والعقيدة واللغة والثقافة والحضارة والتاريخ وغيرها من المكونات التي تدخل ضمن التشييد الكلي لذات الفرد. والهوية في معناها الواسع هي عبارة عن مجموعة من الخصائص الميزات والسمات التي تميز الفرد عن غيره.

2.1. **مفهوم الهوية الافتراضية:**

إن الهوية الافتراضية وكما ذهب إلى ذلك **"إتزشاد" Etzscheid هي**: "مجموع الأثار (المكتوبة أو المحتويات السمعية أو البصرية أو رسائلنا في المنتديات أو بيانات الاتصال أو أعمال الشراء أو المعاينة...) التي نتركها خلفنا بوعي أو بغير وعي خلال إبحارنا على الشبكة ومبادلاتنا التجارية أو علاقاتنا المتبادلة في المواقع المخصصة لذلك". فالانترناتيون إذن يظهرون وجودهم (أي الوجود الافتراضي) من خلال علامات نصية، صوتية وبصرية. فإذا كانت الهوية الواقعية تستمد معناها من الوعي بالذات والتميز الفردي عن الآخرين، فإن الهوية في الفضاء الافتراضي تحدد من خلال عنوان البريد الالكتروني أو الاسم المستعار أو الصورة الرمزية التي يقدمها الانترناتي وغيرها من الأشياء التي قد لا تعكس هويته الحقيقية، أو لا تقدم القدر الكافي من المعلومات لمعرفة حقيقته، (الزهرة غمشي، 2018، ص ص151-153)

ويعرف "نديم منصوري" في كتابه "سوسيولوجيا الانترنت" الهوية الافتراضية بأنها هوية لا يحددها حدود جغرافية، بل هي سابحة في الفضاء السيبراني، تتفاعل مع المواطنين الكونيين الآخرين انطلاقا من خلفيات متعددة، يمكننا تحديدها بثلاث خلفيات:

- الإطار الذاتي للشخصية: أي هويته الوطنية المحلية.

- الإطار الافتراضي للشخصية: أي هويته الافتراضية العالمية.
- الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه المواطن الافتراضي نحو الإطار الكوني الواسع. (ابتسام رايس علي ومحمد ميلودي، 2019، ص ص260-261)

وقد اعتبر علي رحومة الهوية الافتراضية: رزم غير محدودة من البيتات، وهي جميعا رموز للخصائص والمواصفات والأفكار والمعلومات والتفاعل الاجتماعي والتعابير والاتجاهات بأنواعها، ويأخذ التفاعل بين الهويات الافتراضية شكله بصورة طبيعية حسب ما توفره البيئة التكنولوجية المتاحة. (بدر الدين بن بلعباس، 2019، ص182)

وتعرف الهوية الافتراضية Virtual identity حسب موسوعة الويب Webopedia على أنها الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان الذي يعمل كأداة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين. (مريم نريمان نومار، 2018، ص08)

كما تعرف بأنها هوية متحركة "دينامية" يكونها الفرد البشري في مجتمع الانترنت. وهي في هذا المجتمع تتسم بملامح رئيسية أو بالأحرى مقومات مظهرية لوجودها في فضاء السايبر:

- لها مطلق الحرية أن تختار وفق التقنيات المتاحة خصائص تمظهرها، كشخصية حوارية عبر قنوات الانترنت بأنواعها. وقد تكون فرد/جماعة.
- هي شخصية قابلة للتغير والتبدل في أي لحظة بحسب اختيارات الفرد الإنساني نفسه.
- هي أيضا قابلة للتغير والتبدل حسب اختيارات أطراف أخرى، ربما شخصيات "أنترنتية" أخرى تتقمص هويات غيرها. أو من قبل اختراقات برامجية، أو توظيفات متنوعة لهوية. (باديس لونيس، 2014، ص ص285-286).

كما تعرف الهوية الافتراضية بأنها عبارة عن أداة من خلالها نوثق لتاريخ نشاطنا الشبكي على الانترنت، فهي نتاج عملية جمع الخصائص التي يضعها الفرد لتقديم لمحة عن ذاته في الحياة الافتراضية ومجموع الآراء والانطباعات التي يصف بها الآخرين الشخص ذاته، كما أن التحديات التي تصادفها لا تقل أهمية عن تلك الهوية الموجودة في الواقع الحقيقي، كوننا امتدادا له. إذ يشهد المجال الرقمي تواجد ثلاثة أنواع من الهويات الافتراضية:

- الحقيقية: وهي تلك التي يتميز بها الفرد الموجود على لوحة المفاتيح.
- التخيلية: وهو نوع من الشخصية والمعادل الرقمي الذي يضعه الشخص الحقيقي لشخصه الافتراضي على شكل " أفاتار" (Avatar).
- الإسقاطية: وهي تلك الهوية التي يرسمها الشخص الحقيقي من خلال معادله الرقمي، نلاحظها من خلال تصرفاته في الحياة الافتراضية. (ابتسام رايس علي ومحمد ميلودي، 2019، ص ص264-265)

الهوية الافتراضية عبارة عن امتداد تقني/رقمي للهوية الحقيقية، يتخذ شكل رمز أيقوني يميزها عن الآخرين، قد يتخذ شكل صورة أو رمزا للإشارة إلى الهوية. أو بالأحرى هي مجموع الصفات والرموز والبيانات الرقمية الشخصية التي يصرح بها المستخدم والتي تبرز وجوده الافتراضي على الصفحة أو على حسابه الشخصي، بما تتضمنه من معطياته الشخصية، وكيفية استعراضه لذاته كالاسم، العمر، الوظيفة والصورة، والآثار الرقمية التي تخلفها عمليات التواصل والتي تبرز في تلك الرموز التجريدية مثل: الإعجاب، المشاركة، التعليق، وعضويته في المجموعات، ومواقعه المفضلة ومختلف الردود والتفاعلات والاستجابات الفورية مع المجموعات ذات

الاهتمام المشترك ومنشوراته ومشاركته للمواد والتحديثات التي يجريها على الصفحة ويتقاسمها مع الأصدقاء...الخ، والتي يخلفها على الصفحة، وترتبط ببعضها البعض والتي تعكس اهتماماته، تطلعاته، وانتماءاته المهنية والعلمية، وتعكس بالضرورة مواقفه وحدود هويته الافتراضية التي اختار أن يتقاسمها مع الآخرين وأراد اطلاع الحشد الافتراضي (أصدقائه) عليها لتحقيق اشباعات معينة.

2. الفضاء السيبراني كمنتج لهويات افتراضية جديدة:

ثورة تكنولوجيا المعلومات أدت إلى بروز صيغة جديدة للمجتمع العالمي الذي يطلق عليه "المجتمع الشبكي" الذي يستمد خصوصيته مما يتم تداوله في العالم الافتراضي الذي يتسم بقدرته على النفاذ إلى جميع أرجاء الكون، كما يتسم بارتباط وحداته ارتباطا وثيقا، مع تنوع رسائله الثقافية والحضارية، وبخاصة أن مرونة التدفق المعلوماتي في المجتمع الشبكي يسرت من سرعة التواصل والانتشار. وساهمت في تغيير مفهوم الزمان والمكان. لهذا يعتقد مانويل كاستلز أن السلطة الجديدة في المجتمعات المعلوماتية المعاصرة تقوم على إدارة شبكات الاتصال، وهو ما عرضه في مؤلفه "سلطة الاتصال" والذي أفرز اليوم ما سماه "الاتصال الشخصي الجماهيري". وهو مفهوم محوري يعكس أهمية الهوية الافتراضية في ضوء المجتمعات الشبكية المعاصرة، على اعتبار أن المستخدم في ظلها أصبح قادرا على المساهمة في صياغة هويته والمشاركة في تعريفها ونشرها، عبر التعبير عن اتجاهاته ومواقفه والمساهمة في نشر المعلومة، وتقاسمها وتحقيق التعبئة الجماهيرية عبرها، وهو ما تبرزه أعداد المدونات وأعداد الشبكات الاجتماعية على اختلافها. مما قد يفسر لنا حقيقة التغيرات الحاسمة التي يشهدها المجتمع الشبكي الذي أضحى مجتمعا مدنيا موازيا للمجتمع الواقعي، بل أيضا مجالا عاما افتراضيا بامتياز. (كلثوم بيبيمون، 2016، ص ص79-80)

ولقد ارتبط مفهوم الهوية الافتراضية بالعالم الافتراضي والشبكات الاجتماعية واكتسبت أهميتها المتزايدة من تنامي استخدام الشبكات الاجتماعية لدى الجيل الثاني والثالث المتعامل بالهواتف الذكية. وهي مجتمعات ناشئة ألفت التعاطي مع الفضاءات السيبيرانية والتماشي مع التكنولوجيا الجديدة للهواتف والألواح الذكية بمرونة عالية وتكاد تكون يومياتها وعلاقاتها منحصرة كلية في الفضاءات التواصلية الرقمية، هذه الفئة اندمجت بمركزية متناهية في فضاءات التفاعل الرقمي، واستجابت طواعية لسطوة الهواتف المحمولة والحواسيب المرتبطة بالعوالم الافتراضية، وباختصار، إنها جيل مغمور في طوفان رقمي. (بدر الدين بن بلعباس، 2019، ص183)

وقد أنتج ارتباط الفرد بالحاسوب حسب الدكتور **علي رحومة** ذاتا جديدة أسماها بـ "الإنسوب" أي "الإنسان الحاسوب" الذي يشير إلى مركب مبرمج آليا في حالة من التواري والتماهي والتمظهر، في بنيته الخاصة من الأرقام الثنائية. هذا التماهي يساهم بشكل أو بآخر في انحصار التمثل التقليدي لحضور الإنسان لحساب الحضور الجديد وهو ما يؤرخ لمرحلة جديدة قد تكون ثورية تماما. فتاريخ الإنسان لم يدخل قط في تركيبته الاجتماعية، عنصر من خارج المجتمع البشري والمركب الطبيعي للإنسان الفرد. أما الآن في زمن مجتمع الانترنت، فالمركب الإنساني لم يعد فردا علما، بل فرد مركب. الإنسان/ الآلة. (باديس لونيس، 2014، ص285).

وهذا يعني أننا كشخصيات إنسانية نصبح في الفضاء السيبراني ما يعرف بـ "ذات سايبورغ Cyborg Self"، إذ نخلق ذاتا ليست نسخة من الذوات التي يمكن أن نقدمها في الحياة اليومية، ولكن بالأحرى هي ذات بمساعدة وتكوين الحاسوب، إنه انسانا معدلا بالتكنولوجيا، والذي يعوض عن جسده بحضوره الافتراضي. بمعنى أنه حين نستخدم الانترنت في وسط ثقافي معين نصبح نحن أنفسنا "سايبورغات"، حيث

نعيد بناء أنفسنا من خلال الحاسوب وعلى امتداد الثقافة السايبرية التي تسمح لذوات السايبورغ بأن تتكون، وبالتالي تفرز مجتمعات افتراضية بكل مدلولاتها. والتي تتشكل من مجموع علاقاتها التقنية والاجتماعية والذوات بمواصفاتها المختلفة. (علي محمد رحومة، 2008، ص ص147-148)

مما يمكننا من القول أن الهوية ما بعد الحداثية لها خصائص الشبكة نفسها، وليس مستغربا أن يكون اتساع دائرة نفاذ الأفراد إلى التقانة الشبكية وبلورة هوية ما بعد الحداثة، مشتركين في كثير من السمات وترى "شيري توركل" أن الحواسيب لا تغير حياتنا فحسب، بل تغير ذواتنا أيضا. وتغير الحواسيب بهذا المعنى ذواتنا من خلال مدّنا بالأدوات الجديدة التي تكفل البناء الاجتماعي لذواتنا، على نحو موجه صوب الذات. فعلى شبكة الانترنت كما تقول توركل تبنى الذات، وتبنى قواعد التفاعل الاجتماعي، فأن نستخدم شبكة الانترنت يعني أن نبتدع ذواتنا على نحو متواصل. فأنت ما تزعم أنك عليه، وهويتك على الحاسوب هي محصلة حضورك المشتت. ذلك أن هويتك شديدة السيولة والتعدد إلى الدرجة التي تجعل مفهوم الهوية ذا حدود فضفاضة. وبالفعل وخلافا لما كانت عليه الهوية من ثبات وفردية وموثوقية، فإن الهوية على الانترنت، كما تراها توركل، متعددة وقابلة للاصطناع والمراجعة مرارا وتكرارا. وبالنسبة إلى أولئك الذين انغمسوا في تقانات المجتمع الشبكي كما تقول كورتل فإن السؤال المطروح فيما يتعلق بالهوية ليس من أنا؟ بل من ذواتي؟ (دارن بارني، 2015، ص163).

حيث يقف كاستلز أمام مجتمع الشبكات ليوضح أن عصر المعلومات محكوم وموجه، بقطبين مركزيين: قطب الشبكة وقطب الذات الفاعلة، ذلك أن مفهوم الشبكة لا يشير إلى شبكة بعينها، بل إلى شبكات متعددة تتحكم في مصادر القوة والثروة والمعلومة. إن الشبكة هي: "البنية الاجتماعية لعصر المعلومات، عصر المجتمع

الشبكي، حيث تقوم هذه الشبكات بدورها في بناء ثقافة افتراضية في إطار تدفقات المعلومة، متجاوزة بذلك مفهوم الزمان والمكان، وحصل في عصرنا هذا اختراق لكل المجتمعات بالفعل الجارف للمجتمع الشبكي ". وتقف الذات المعبرة عن الهويات الفردية والجماعية الهادفة إلى المحافظة على حياتها في خضم التحولات المعرفية الكاسحة، بمحدودية إدراكها لكثير من هذه التموجات الحاصلة. وينتج هذا التناقض بين الشبكة والذات صورا جديدة من الصراع. فبدلا من الصراع الطبقي بلغة كارل ماركس، تصبح البشرية أمام صراع تؤدي فيه الشبكات بقواعدها الرمزية المتعددة دورا بارزا في تأجيج ملامحه الكبرى. (إدريس الغزواني، 2020، ص152).

وهذا ما يحيلنا إلى قبول فكرة الفضاءات السيبرانية كونها تفتح آفاقا غير مسبوقة للأفراد، وتخلق إمكانيات جديدة لانبلاج واستنبات أشكال جديدة من الهويات، كانعكاس لتفاعلات الذات مع المتداول الرقمي في ضوء السياقات الثقافية المتمخضة عنها.

فلقد فتحت الفضاءات السيبرنيطيقية بفضل خواصها وديناميا تها التواصلية آفاقا غير مسبوقة للأفراد، كما خلقت أنماط اتصالية وتشبيكية، ما كان من الممكن وجودها في مرحلة ما قبل الانترنت، حيث قلصت فعليا من الحواجز الجغرافية وحدّت من العوائق الثقافية والاجتماعية ومنحت الصوت لكل من لا صوت له، إذ أنها نسيج لاهيراركي ولا مركزي يمكن الأفراد من التفاعل بكيفية أفقية. وبالتوازي مع ذلك سنحت الفضاءات الافتراضية باحتضان أشكال متعددة للفعل والتنظيم الذاتي والجمعي والتعبير عن الهوية والإفصاح الرمزي عن الذات، كما أفرزت منصات تفاعلية تتداخل فيها العوالم الواقعية والافتراضية. ضف إلى ذلك، أن ظهور الفضاء الافتراضي (**Virtual Space**) أدى إلى انبلاج مساحات جديدة غيرت جذريا من كيفية

التفاعل وطرق تشكيل الجماعات وتشييد الهويات وتمثيلها بالكامل. وقد تولد عن الفضاء الافتراضي ثقافة مرنة ومفتوحة بإمكانها استيعاب واستنبات هويات متباينة وهجينة ومفاهيم غير مسبوقة أفرزت مفاهيم جديدة عن الذات تتسم بالمرونة والسيولة والتنوع. (بلقاسم أمين بن عمرة، 2018، ص197).

وانطلاقا من منظور ميشال فوكو يمكن القول إن وسائل التواصل الاجتماعي تعد أكثر من مجرد أداة لتبادل المعلومات، فهي وسيلة لتشكيل الهوية، وتتضمن ميكانيزمات تساعد في بناء الذات أي ما يسميه فوكو "بالذاتانية". حيث تشرف الذات الافتراضية بصفة إرادية على تنشئة نفسها من خلال التنقل عبر الفضاءات الرقمية التي تكون مجالا لعرض وتبادل قيم ومعان ودلالات متنوعة، نتاج أنساق ثقافية متباينة، الأمر الذي يجعل الهوية الافتراضية عرضة لرهانات زمكانية وعمليات تفاوض آنية، قد تدعم مدلولاتها الأصلية أو تقوضها، أو أن تعطيها دلالات مغايرة بحسب قدرة الذات على دعم الأطر والعناصر الأساسية المشكلة لهويته المحلية، وقدرته على الانفلات من آليات الهيمنة التي يكون عرضة لها في الفضاء الافتراضي، وبخاصة إذا اتخذت عملية التفاعل الطابع الانفعالي الفوري الذي قد يغيب فيه العقل التأملي النقدي. الأمر الذي يدعونا إلى توجيه الانتباه إلى أهمية حضور البعد القيمي والرؤية الحضارية الأصيلة لتحقيق التواصل الهادف الذي ينعكس على الممارسة الواقعية. (سلامي اسعيداني وأسماء لقيقط، 2021، ص ص140-142).

فالإنترنت تفتح فضاءات لا تحكمها مرجعية التموقع بالمعنى الفيزيائي، حيث تمكن الأفراد من تجاوز إكراهات الحضور الجسدي، والتحاور دون أن يكشفوا عن هوياتهم الحقيقية. إن هذا التحرر النسبي لمستخدمي الانترنت في علاقتهم بالمكان والجسد والوضع الاجتماعي يتيح لهم نوعا جديدا من الممارسات متمثلة أساسا في تمكينهم من اصطناع هويات افتراضية وإدارتها بما يتناسب ورغباتهم في التعدد الهوياتي. (محمد

مصطفى رفعت، 2018، ص 50). حيث عرفها **الصادق رابح** بأنها هوية فنتازمية تسعى إلى القفز على محرمات الهوية الاجتماعية. حين أكد الإمكانية التي يحظى بها الانترناتي لاستعارة وتجريب ما شاء من ذوات دون أن يتعرض للعقاب، بل إن الأمر يذهب أبعد من ذلك، فالذوات التي يتقمصها في فضاء الانترنت هي في أغلب الأحيان وخلافا لتلك التي تتشكل منه ذاته (أناه) **حسب رؤية ميد** متناقضة مع الأدوار الفيزيائية والاجتماعية التي يمكن أن تقوم بها في الحياة الفعلية. (الزهرة غمشي، 2018، ص253).

ويذهب الباحثان Boyd and Heer (2006) في دراستهما المعنونة بـ: (Networked Identity Performance) إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الهوية في العالم الواقعي والنشاط الافتراضي على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي. حيث يرى الباحثان أن بناء البروفايل الشخصي (personal profile construction) في شبكات التواصل الاجتماعي هو نتاج لتفاعل ثقافة الفرد واحتياجاته النفسية وخصوصياته الهوياتية والثقافية مع البيئة الافتراضية وما تتيحه من الناحية التقنية، فالبروفايل ليس تمثيلا تقنيا جامدا بل هو مسرح لسيرورة تفاعلية ديناميكية بين الفواعل الرقمية والمادية والتقنية والسوسيوثقافية والنفسية والسيموطيقية والرمزية. (بلقاسم أمين بن عمرة، 2018، ص184)

وهو ما يثير تساؤلات جادة وعلى مستوى كبير من الأهمية، حول الهوية الجديدة التي تنطرح أمامنا في مشهد غرائبي غير مسبوق؛ حيث أن التمازج بين الذوات الافتراضية والذوات الفعلية له انعكاساته على طبيعة الهوية الفردية، بل ويعتبر الانسحاب من الواقع إلى الفضاء السيبراني سببا في تآكل وإهدار رأس المال الاجتماعي.

موضوع الهوية من العناصر التي لا تقل أهمية عن باقي المكونات الشخصية والاجتماعية للفرد، ونظرا لأهميته باتت الدراسات الإنسانية والاجتماعية تعتبره كمؤشر تحلل وتفسر به بعض السلوكيات المعينة، غير أن الشكل الجديد للهوية على وسائل الاتصال الرقمية عقد الأمور من جهة أن الهوية الافتراضية التي أصبح يتمتع بها الفرد على مواقع التواصل الاجتماعي على سبيل المثال، لا تعكس بالضرورة الهوية الحقيقية له كونها تحولت إلى مجرد سلعة ومجرد صورة مشوهة للصورة الحقيقية للإنسان. (ابتسام رايس علي ومحمد ميلودي، 2019، ص264).

إذ ليس من المؤكد أن القفز و"الاستحواذ" على مجموعة من الذوات الافتراضية سيساعد الفرد على تعميق أناه (ذاته)، حتى لو اقترن ذلك باتساع فضاء ظهور هذه الذات (بسبب تقمصها لذوات متعددة). ذلك أنه إذا انطلقنا من المبدأ القائم على أن ذات الفرد (هويته)، في الواقع الاجتماعي، تتشكل أساسا باعتبارها الوجه المشخصن للذوات الاجتماعية الأخرى (الأدوار والوضعيات ضمن السياقات الاجتماعية)، فإن الأمر يختلف على الانترنت، على اعتبار أن هذه الذوات الاجتماعية يمكن أن تصبح غير محددة المعالم نهائيا. ومن هنا فإن التعددية الفنتازمية للذات لم تعد تحكمها إلا قدرة الفرد المولع بالأنترنت على الدفع برغباته إلى الحد الذي يمكن أن يصل إليه، وتحويلها إلى ممارسة منجزة. وهو ما يجعلنا نسائل الأساسيات التي يقوم عليها بناء الذات، وبالتالي الشخصية الاجتماعية للأفراد. (رابح الصادق، 2007، ص ص05-06).

هنا يمكن أن نفترض أن حرص الأفراد على تقمص وأداء هذه الأدوار الجديدة في عرض الذات في الفضاء السيبراني باعتباره بيئة تفتقد إلى الضوابط الاجتماعية، كآلية للهروب عن الحيز الاجتماعي، وهذا راجع إلى سعيه إلى التملص من الاكراهات الاجتماعية والضغوطات والتحرر من القيود التي يفرضها المجتمع الواقعي وتوقعاته، وما

ينطوي عليه من نظام قيمي، والرغبة في أن يكون مواطن افتراضي، ويتمثل القيم الرمزية، والسعي نحو تحقيق اشباعات ذاتية أو مجتمعية أي لإشباع رغباتهم وحاجاتهم النفسية والثقافية، وللتعبير عن جوانب من شخصيته لا يستطيع التعبير عنها في الواقع، أو لأنها قد تكون مجرد تصورات عن ذات يرغب في تبنيها، تتحكم فيها رموز ثقافية لا ترتبط بذاته، وهنا ينسخ ويتقمص أدوار الآخرين كبديل لأدواره في الواقع الحقيقي. وهذا في إطار القيم والمعتقدات التي يضعها لنفسه، سعيا منه إلى تحقيق تطلعات أقصتها الحياة الفعلية بفعل القيم والمعايير والمبادئ التي تفرضها على الفاعلين الاجتماعيين. وهذا في إطار غياب كلي للحواجز والضوابط الثقافية والاجتماعية الموجودة في الواقع. ويعود سبب اعتزاله للواقع الاجتماعي وتبنيه لهذه الأدوار لعدم تناغمه مع هذا الواقع بإكراهاته المتعددة، وافتتانه بالعالم الافتراضي وبدائله التعويضية المتعددة.

إن المجتمعات الافتراضية وفقا لهذا المنظور تتسم بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدرج إلى تفكيك مفهوم الهوية التقليدية، ولا يقتصر تفكيك الهوية على الهوية الوطنية او القومية بل يتجاوزها إلى الهوية الشخصية، لأن من يرتادونها في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم، وبعضهم له أكثر من حساب. وهذا الواقع الجديد للتواجد يظهر الانسان الفرد في صورة لا أحد "Nobody"، وهو أمر ثمين حقا كما يقول "**نيكولاس نيغروبونت" Nicholas Negroponte**، يظهر استقلالية وحرية بدون حدود للإنسان كونه رقميا. وقد أكد **توركلي شيري "Sherry Turkle"** من خلال بحثه في العلاقة بين التفاعل في الفضاء الإلكتروني وانعكاسية الذات أنه: "عندما نخطو خطوة من خلال الشاشة نحو المجتمعات

الافتراضية، فإننا نعيد بناء هوياتنا على الجانب الآخر للمرآة". (الزهرة غمشي، 2018، ص252).

هذا الواقع الجديد جعل البعض يتوقع أن ينتهي زمن التنوع الثقافي، ومن ثم إعادة تشكيل هويات جديدة في ظل ثقافة غربية مهيمنة، هويات رقمية تفرز مزيجا جديدا من السمات والتفاعلات والتمظهرات الفردية والجماعية في فضاء سايبيري لا حد له ولا قيد عليه. فما تتيحه هذه الشبكات من الدخول بشخصيات افتراضية، تدفع الفرد إلى تقمص ذات أو ذوات مثالية، أو عالمثالية كما سماها الباحث **سعد الغامدي** وهي هوية هجين تجمع بين الثقافة المحلية من لغة ودين وموروث ثقافي وشعبي، وثقافة أجنبية بكل مكوناتها. وهذا ما يهدد هوية الفرد الأصلية من خلال انتمائه للمجتمع الأصلي، ما يطرح تساؤلا عن مدى شرعية انتمائه لهذا المجتمع. إن الانتماء إلى هوية "شبحية" سيؤدي حتما إلى انحسار المخيال ومن ثم الإبداعية لحساب المعرفة السطحية الهشة والصور المعلبة والمصطلحات الفارغة من المدلولات ذات القيمة. كما يؤدي إلى تكسير الطابوهات الاجتماعية والثقافية وإضعاف الحساسية اتجاهها على حسب تعبير المفكر عبد الرحمان عزي. (باديس لونيس، 2014، ص ص286-287)

وإذا كان عصر المعلومات حسب "**كاستلز**" يحكمه ويوجهه قطبان مركزيان هما قطب الشبكة وقطب الذات الفاعلة، فإنه مقابل التشبيك المتعولم الذي يعد الظاهرة الأبرز في مجتمع المعرفة، تقف الذات التي تشير في نصوص "**كاستلز**" إلى الهويات الفردية والجماعية الهادفة إلى المحافظة على حياتها في خضم التحولات المعرفية الجارفة، وينتج التناقض بين الشبكة وبين الذات في نظر "**كاستلز**" صورا جديدة للصراع الاجتماعي، لعل أبرزها ذلك الصراع بين الهوية الواقعية والهوية الافتراضية، إذ بدأت هويتنا الرقمية الموجودة على الانترنت تغطي على هويتنا الحقيقية، ولأننا نعمل

ونتحدث عن طريق الشبكة، فنحن ننشئ نسخة رقمية عن أنفسنا تعيد تعريف ما نحن عليه. (الزهرة غمشي، 2018، ص ص151-153).

وتكمن أكثر التجليات إثارة للاهتمام، من المنظور السوسيولوجي، في وضعيات الانفصال/الانفصام الهوياتي باعتبار تحولها إلى ظواهر. إذ يمكننا أن نتساءل الى أي مدى يشكّل تبني ذوات افتراضية شرطا ضروريا في الحفاظ على الذات الفعلية التي تمثل ثقلا عل صاحبها باعتبارها تمثل الوجه المظلم أو السلبي الذي لا يريد أن يظهر به. ومن خلال هذا المنظور، يمكن اعتبار الانترنت كمتنفس للهروب بعيدا عن الواقع، وتعقّداته بتخليق بيئة افتراضية متوافقة مع رغباتها وتطلعاتها. فاللجوء إلى الفضاء الافتراضي أصبح كأداة لتجاوز بعض الوضعيات التي يعيشها الفرد، وغالبا ما يؤدي الإفراط إلى الدخول في متاهة العوالم الافتراضية، إلى إدمانها مع ما يترتب على ذلك من نتائج. وغالبا ما يؤدي الدفع بهذا النمط السلوكي الى حدوده القصوى الى نشوء ثنائية هوياتية نفعية وشائهة، فهناك الفضاء الافتراضي حيث يمكن للفرد أن يطلق العنان لتلقائيته المفرطة، عواطفه، ذاتيته، وكل ميولاته، وفي الطرف الثاني الفضاء الفيزيائي الذي غالبا ما يكون مصدرا لقنوطه وهزائمه النفسية التي لا تنتهي. ولهذا فإن الفضاءات الافتراضية برحابتها وما تتيحه من توسيع لدائرة اللقاء مع الآخرين، تمثل إدمانا "ناعما"، إنها تفصل الذات المفرطة في استهلاكها عن عالمها الواقعي. (رابح الصادق، 2007، ص12).

وقد تطرق نديم منصوري إلى ثنائية الحضور الافتراضي والانقطاع الافتراضي (الأون لاين/الأوف لاين) كحالتين متلازمتين، تعبران عن أشكال التداخل بين المجتمعين الافتراضي والواقعي الذي أضحى أمرا مفروضا، وبخاصة أن الحضور الافتراضي أضحى مرتبطا بالحضور الاجتماعي ومكملا له، إلى درجة أن بعض العلاقات أضحت تتخذ

طابع العلاقات الاجتماعية الافتراضية، وبخاصة مع توفر خدمة الانترنت على مدار الوقت. (مسعودة طلحة، 2018، ص06)، إذ يتخذ التواصل في المجتمع الشبكي الطابع المتزامن الذي يفترض الحضور الآني لأطراف التواصل أو اللامتزامن الذي يفترض الغياب الفيزيقي لأطراف التفاعل زمن التواصل، الأمر الذي يؤثر في مجرى العلاقات الافتراضية في المجتمع الشبكي التي تتخذ طابعا خاصا يختلف عن محدداتها في الواقع. (كلثوم بيبيمون، 2016، ص81).

وقد أقر الباحث روبرت **بوتنام** في دراساته المهتمة في بحث أسباب انخفاض رأس المال الاجتماعي بدور المجتمعات الافتراضية التي تؤسس لها اتصالات الانترنت كاتجاه معاكس محتمل للانخفاض الكبير في رأس المال الاجتماعي، حيث أعرب بوتنام ضمن هذا السياق عن تخوفه من التداعيات الاجتماعية لإخفاء الهوية عبر الانترنت، واللاوجود الفيزيقي، وغياب الحيز الجغرافي – وفي الوقت الذي يحذر فيه من الحكم المبكر على التكنولوجيا التي لا زالت في بداياتها، (الزهرة غمشي، 2018، ص264).

كما أكد ريتشارد واطسون "Richard Watson" الذي أكد أن إضفاء الطابع الافتراضي يؤدي إلى استبعاد ضرورة الاتصال البشري المباشر ويؤدي ذلك إلى نشأة جيل يفضل التعامل مع الآلة على التعامل مع البشر. وهذه النتيجة العكسية لاتصالات الأنترنت عادة يطلق عليها رأس المال الاجتماعي الاستلابي. وهذا ما ينطبق على ما تؤسسه اتصالات الخط من جماعات افتراضية تؤمن لنا وجود زائف ضمن الجماعة، وهذا الوجود هو أساس بروز رأس مال اجتماعي استلابي ناتج بالأساس عن تشيؤ العلاقات الاجتماعية كأبرز جوانب الطابع المجتمعي الذي يسود المجتمعات الافتراضية، أين تغدو علاقات الفرد بالعالم علاقات زائفة وعلاقات تملك وحيازة، وزيف هذه العلاقات يكمن في كون أن الفرد انما يسعى لحيازة علاقات ضمن آلية هروبية تضمن له البقاء قرب الآخرين هروبا من الوحدة. وهنا ينتقل

الانسان من حالة اغتراب الانفصال إلى اغتراب الخضوع، أي من التحرر من سلطة العلاقات التقليدية إلى اغتراب الخضوع للقطيع، والوجود الافتراضي يكرس الهروب من العلاقات الشخصية نحو علاقات سطحية افتراضية في موقف شبيه لما حدثنا عنه "إريك فروم" Erich Fromm عند تناوله للحرية السالبة والذات الزائفة، أي الهروب من ضعف أو انعدام رأس المال الاجتماعي الواقعي إلى رأس مال اجتماعي افتراضي استلابي. (الزهرة غمشي، 2018، ص ص265–267).

يمكن تلخيص ما سبق في أن الفضاء السيبراني يتيح للأفراد مساحات واسعة وفرص جديدة لنحت هويات افتراضية حسب السياق الافتراضي الذي يتواجدون فيه، كشكل من أشكال التعبير عن الذات، وقد يقومون بتجريب وتقمص هويات متعددة لاستكشاف ذواتهم، وإعادة بنائها من خلال ردود الأفعال التي يحصل عليها من الآخرين وعبر التجريب المتكرر لمختلف الهويات. (التعدد الهوياتي). فالفضاءات السيبرانية بهذا المعنى تمنح الأفراد إمكانية استكشاف هوياتهم، وقد يتلاعبون بأسمائهم وبسماتهم الأصلية ويستعيرون ذوات ليست ذواتهم الفعلية، وبتمثلاتهم لهوياتهم لإنتاج وتقمص هويات متعددة، في محيط أقل ما يقال عنه أنه يتسم بالعالمية، يعيدون فيه انتاج أشكال رمزية للتعبير عن الذات، يتبنون فيه شخصيات مختلفة بأسماء مستعارة للتعبير عن ذواتهم الافتراضية، ويندمجون في أنماط مختلفة من العلاقات الاجتماعية قد تكون سطحية وزائفة ودون قيود محرمات الواقع. هذه الهوية الافتراضية التي أصبح يتمتع بها الفرد، لا تعكس بالضرورة الهوية الحقيقية له. وقد تؤدي إلى تفكيك الهوية الشخصية. وهنا يكمن التأثير السلبي في تشتيت الذات ودفعها إلى اللايقين واللاانتماء. ولكن هذا لا ينفي أنها قد تكون أيضا انعكاسا لهويات حقيقية، تتفاعل مع مختلف الآفاق والرؤى وتخلق مضامين متنوعة في العالم الافتراضي ترتبط بخلفيات

اجتماعية وثقافية. ذلك أن هذا الفضاء الافتراضي يمكّنهم من معايشة تجارب جديدة في عالم افتراضي، وتعزيز ابداعاتهم والدفع بها إلى أبعد الحدود، بحيث يعيش الواقع بطريقة مختلفة جذريا.

3. مسارات التحول من الهوية الواقعية إلى الهوية الافتراضية:

الفضاء السيبرنيطيقي فتح مجالا تداوليا فكك التراتبيات والتفاوتات الموجودة في الواقع الاجتماعي والتي تبنى على أساس التصنيف الهوياتي أو أحد مكوناته، ومهد لظهور أشكال جديدة من الهويات والذوات والرموز والطقوس والديناميات الأنتروبوبوجية والبنيات التكنو-اجتماعية. (بلقاسم أمين بن عمرة، 2018، ص183). وهناك شبه انسحاب من المجتمع الواقعي أو حالة من التمرد الجماعي عليه، بالانخراط في القيم والفضاءات والمجتمعات الافتراضية، وهو ما يفترض استبدال القيم الدوركهايمية واعتبار الظاهرة الاجتماعية قهرية وعمومية وخارجية لم تعد كما كانت. وتتمظهر خصوصية الفرد الاجتماعية من خلال احترام خصوصية مجتمعه. ربما الهويات الافتراضية وما نتج عنها من تحولات جذرية في نسق السلوك الفردي والاجتماعي والثقافي لمواطن العولمة يفرض تغييرا في النسق الدوركهايمي، والذي وضع اطارا صارما للعلاقة بين الفرد والمجتمع. ولعل عنوان هذا التحول يكشفه عبارة دوركهايم: إذا تكلم ضميرنا فإن المتكلم هو المجتمع، هذه العبارة ربما أصبحت جزءا من الماضي، ووجب استبدالها بعبارة: إذا تكلم ضميرنا فإن المتكلم هو شبكة الانترنت كعالم افتراضي. فالمجتمعات تحولت من مجتمعات عضوية وآلية إلى مجتمعات افتراضية موجودة في اللامكان. والهوية الافتراضية في هذا الصدد أحدثت قطيعة مع الإرث الدوركهايمي في تأصيله للهوية، وطبيعة المجتمعات وطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع ساهم في بروز الفردانية بشكل متطرف كإطار لبناء هويات فردية منعزلة

ومتحررة من كل القيم والمعايير الاجتماعية أو على الأقل التمرد ضدها. (العياشي الفرفار، 2019)

هذه الرؤية الحتمية لطبيعة الإنسان حيث الفرد محكوم بسلسلة من الحتميات والاكراهات النفسية والاجتماعية والبيولوجية وكذا الاقتصادية عبرت عنه الرؤية البنيوية، هكذا تتحدد الملامح الكبرى للاتجاه البنيوي من حيث الدعوة إلى إلغاء الحرية الفردية، وجعل الانسان محكوم بحتميات بنيوية، إنه مجرد حامل لبنيات، وليس صانعها ومتحكم فيها فالفاعل هو البنية أما الفرد ماهو إلا منفعل داخل هذه البنية. فالفرد وفق نظريات العلوم الاجتماعية سواء قهرية دوركهايم أو بنيوية فوكو وكلود ليفي ستراوس والهابتوس لبورديو والتنشئة الاجتماعية والشخصية القاعدية لرالف لنتون كلها تصورات تكشف أن الفرد لا يملك إلا حرية واحدة وهي الخضوع والامتثال لهذه البنيات القهرية، مما ولّد حالة من الضغط والقهر الاجتماعي، ساهم في البحث عن مسارات للانفلات من هذا الواقع الضاغط. (العياشي الفرفار، 2021، ص166).

لذا يفهم سر النزوح الكبير من الواقعي نحو الافتراضي، لأن الهوية الافتراضية مؤسسة على حرية الإبحار في قارة زرقاء "الفيسبوك"، وهذا يعني أنها هوية مشتتة داخل فضاء مرقمن لا يعترف إلا بالتعدد والاختلاف والتشتت، ويعترف فقط بالتشبيك وربط الأفراد فيما بينهم، من أجل المتعة والتواصل وأشياء أخرى خارج الحدود الجغرافية والثقافية والقيمية. وهو ما يجعل الهوية الافتراضية تعادي الوحدة والثبات أي أن الشخصية القاعدية التي تحدث عنها رالف لنتون في حديثه عن وجود شخصية قاعدية تمثل الإطار المشترك لأعضاء مجتمع واحد، وتمتاز هذه الشخصية بالوحدة والتشابه. في حين أن الشخصية الوظيفية حسب لنتون مؤسسة على الاختلاف تبعا لنوع الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها كل فرد. والهوية الافتراضية

تتجاوز أسس رؤية رالف لنتون حول الشخصية القاعدية، لأنها هوية مؤسسة على تفكيك الهويات الأصلية، وإعادة تشكيل هوية معولمة ونمطية تعيش على نمط موحد للحياة ونظرة استهلاكية. (العياشي الفرفار، 2021، ص166).

4. عولمة الهوية:

ويذكر مانويل كاستلز في هذا الصدد أن بعد تكنولوجيا الاتصال والمعلومات (TIC) وتبدل الرأسمالية العالمية، أصبحنا نعيش تنازع قوتين من أجل تحوير العالم وحياتنا هما: العولمة والهوية، لقد خلقت ثورة تكنولوجيا الاعلام وإعادة بناء الرأسمالية نمطا جديدا من المجتمع، إنه مجتمع الشبكات، تخترقه الثقافة الافتراضية الواقعية، ويكون فضاء تدفقات، تعبر كلها عن أنشطة مهيمنة ونخب مسيّرة. لكن ترافقها في الآن نفسه تظاهرات قوية لهويات جماعية تأتي متحدية العولمة والمواطنة العالمية باسم الخصوصية الثقافية. (كلثوم بيبيمون، 2016، ص ص80-81).

حيث أن ثورة الاتصالات وتسارع دفق كم ونوع المعلومات واستحداث التقانة أنتجت مجتمعات موازية ، فتحول التراكم الكمي إلى واقع كيفي، كما أثاره "ألفن جولدنر" في كتابه "الأزمة القادمة لعلم الاجتماع" إذ حسبه يمكن الحديث عن نهاية تاريخ وبداية تاريخ جديد، وذلك لأن التحول الشامل الذي حدث لم يقتصر على تغيير نظام عالمي قديم ليحل محله نظام عالمي جديد، بل تغير النظام العالمي في واقعه، وفي ثقافته، وحتى مقولات الإدراك التي اعتقدنا لقرون خلت أنها ثابتة، فقد تغيرت معاني الزمان والمكان والنسبية، بعضها اتجه إلى التجانس والإطلاق المستند إلى اتفاق البشر، بينما اتجه البعض الآخر إلى التنوع والتذري بحيث ازدادت الفجوة بينه وبين المطلق. (ليندة العابد، 2018، ص197).

وربما لدراسة التحولات الاجتماعية في علاقتها بنسق العولمة يمكن الاشتغال على مفهوم الهوية باعتباره إطارا نظريا أكثر نجاعة في فهم التحولات وطبيعتها ونتائجها.

فالعولمة أنتجت عوالم متغيرة مما يفرض إعادة قراءة الواقع الاجتماعي وإعادة بناء تصوراتنا انطلاقا من التحولات الجذرية التي مست نسق الهوية، إن بروز الهويات الافتراضية وترسيخ سلوك قاعدي أصبح سائدا ومؤسسا لأنماط سلوك جديدة والمتمثلة في الانسحاب من الواقع الاجتماعي والإقامة الدائمة أو شبه الدائمة في عوالم الشبكات الاجتماعية. (العياشي الفرفار، 2019)

ومن الصعب الحديث عن هوية صلبة في زمن العولمة، فالعولمة كنظام يخترق كل المقاومات الثقافية والهوياتية. ويكتسح كل شيء ويغير كل شيء من أجل أن يتمدد ويهيمن، لذا فهي نسق من التغيير من أجل بناء ثقافة نمطية. ومن أهم مظاهر التغيير الاجتماعي والثقافي في زمن العولمة هو طبيعة التحولات المتسارعة والتي مست الهوية سواء الفردية (الأنا) وكذلك الجماعية، (النحن). فالعولمة تعمل على تفكيك الهوية المحلية ذات الخصوصيات الثقافية والدينية، والمرتبطة بمكان وزمان وشبكة تفاعلات وقيم مشتركة تتسم بالديمومة وبالثبات. كما تعمل العولمة أيضا على إعادة تشكيل هوية جديدة، تتم صناعتها وبنائها في الفضاءات الافتراضية. فالهوية الافتراضية تتأسس حين ينخرط الفرد في الشبكة ويذوب في عوالمها خارج حدود الجغرافية الثقافية والقيمية المحددة في شخصيته الاجتماعية. وقد اعتبر "داريوش شايغان" أن الهوية في زمن العولمة حاضرة في الوقت ذاته، وهو ما ينتج حالة من اللاتجانس وخليط من كل شيء ثقافات مختلفة، قيم مختلفة ومتغايرة، عادات اجتماعية وصور. إن ما أنتجته العولمة هو إنسان معولم وليس إنسان عالمي. معولم لأنه خاضع لصيرورة تأثير من أجل تنميطه، وجعله خاضعا لقوانين السوق والاستهلاك وبمصالح الشركات الكبرى. (العياشي الفرفار، 2019)

كما أن حدود الهوية الافتراضية في العالم الافتراضي غامضة المعالم، إذ لا تحدها حدود جغرافية، أو تضبطها منظومة قيمية، فهي فضاء مفتوح لا محدود لمواطنين كونيين من مختلف الأعراق والأجناس والخلفيات الثقافية، وعليه فهوية كل مواطن تتدرج من هويته الوطنية لتمتد إلى أبعاد عالمية. فإذا كان مارشال ماكلوهان قد أشار إلى التحديات التي جاءت بها العولمة وتأثيرات تكنولوجيا الاعلام والاتصال بمختلف وسائلها، وربط تأثير الرسالة في الوسيلة المستخدمة. فقد نوه عبد الرحمن عزي من خلال نظرية الحتمية القيمية إلى البعد القيمي والحضاري للمضمون الذي تحمله الرسالة الإعلامية، والذي لطالما تجاهلته الدراسات الاجتماعية الغربية. فالمضمون المتداول رقميا هو مضمون حامل لقيم، وبخاصة في ضوء المجتمع الشبكي يتخذ طابعا انفعاليا، وبخاصة إذا كان في ضوء بيئة رقمية تساعد على تحقيق التأثير المرجو. (كلثوم بيبيمون، 2016، ص73).

على ضوء ما سبق، يبدو أن مضمون الهوية الافتراضية مضمون معقد إلى أبعد الحدود، يتجه نحو تبني نمط ثقافي واحد، والانتقال إلى تبني ثقافة كونية دون أدنى مقاومة، تؤثر على هوية الفرد بوصفه فاعلا اجتماعيا حيث أصبحت الهوية تخضع لعملية نمذجة في ظل المجتمع الشبكي ذو البعد الواحد، والسعي إلى بناء انسان معولم وخلق نموذج عالمي، خاصة في ظل التداول الواسع لمختلف النماذج الثقافية عبر الفضاءات الافتراضية في ظل الغزو العولمي. وعليه يجد المستخدمون لهذا الفضاء الافتراضي أنفسهم محاطين بنماذج ثقافية متنوعة، تجعلهم في وضعية صراع وتصادم بين ثقافتين متناقضتين ثقافة محلية يسعون إلى الحفاظ عليها وأخرى وافدة مهيمنة، تلغي حق التعددية والتنوع الثقافي، وبالتالي توسيع الفجوة بين المستخدم والثقافة المحلية، وصهرها في ثقافة واحدة، مما يؤثر على عملية بناء هوية الأفراد وقد تنعكس على مضامين هويتهم التي تبرز تمثلاتها في تداولاتهم الافتراضية.

5. تمثلات الهوية الافتراضية في المجتمع الشبكي:

يتجسد أفضل فهم للهوية، في مبدأ Butler "الهوية كأداء" (Identity as performance)، والتي سعت من خلاله لتوصيف كيفية تمثل الفرد لهويته وكيف أن هذا التمثل الرمزي يؤثر على كيفية تصرفه ومسلكه، بحيث تكون سيرورة أفعاله متوائمة ومنسجمة مع تمثلاته الهوياتية، وتؤثر الميديا ووسائطها سواء الكلاسيكية أو الجديدة بشكل عام على الكيفية التي يتمثل بها الأفراد هوياتهم وكذا كيفية ترجمة التمثلات إلى أداءات. والإنترنت دون شك تعد فضاء أدائي إذ أنها توفر مساحات لإبراز هويات الأفراد وتجليها وتمظهرها أمام باقي الأفراد في مختلف الفضاءات الافتراضية. فالفايسبوك مثلا أصبح منصة يتم تمضية قدر معتبر من الوقت فيها، بشكل ربما بفوق الوقت المخصص سابقا للفضاءات الاجتماعية الواقعية، ويشهد الفايسبوك قيام الأفراد بصيانة وتعهد الهوية الفردية الافتراضية، وذلك عن طريق المشاركة الدورية للصور الشخصية والفيديوهات وتنزيل الأخبار والمعلومات ومختلف المضامين السمعية والبصرية والنصية والتفاعلية في جدار البروفايل الشخصي، وكل هذه الأنشطة هي من الناحية الرمزية عملية أداء للهوية. (بلقاسم أمين بن عمرة، 2018، ص ص188-189).

وفي مفهومنا الجديد للهوية الافتراضية، يبدو مفهوم الهوية أكثر تعقيدا وغموضا، إذ تزداد خصائص الشخصية الإلكترونية عددا ونوعا وكيفا، ومن خلال تفاعلها المتواصل والمتركب في أشكال تكنولوجية متنوعة تتمثل الهويات الافتراضية بشتى تمثلاتها الممكنة في وسط إلكتروني جمع بين وسائط الحرف والصوت والصورة والحركة واللون، وتجاوز الزمان والمكان في حركة الفضاء السايبري. إن هذا الفضاء أتاح للإنسان إطارا كبيرا وواسعا يحوي أطرا فرعية كثيرة. فهناك الإطار الذاتي للشخصية،

وهناك إطار الجماعة أو المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه، وهناك كذلك الإطار الأوسع الكوني الجديد، الذي يمكن الفرد الافتراضي أن يتحرر من خلاله وينطلق بكل إمكاناته وطاقاته التمثلية الرقمية، ولكل من هذه الأطر المذكورة خواص تحدد هوية ما للفرد الافتراضي. (علي محمد رحومة، 2008، ص137).

ولإنسان الحاسوب تمثلات معينة في المجتمع الشبكي تحكمها قواعد مغايرة تتجاوز نسقية النظم الاجتماعية المنظمة للحياة الاجتماعية والثقافية في الواقع. وإن كانت الذات الافتراضية تساهم عبر خياراتها وتفاعلاتها في إعادة بعثها في المجتمع الافتراضي. (كلثوم بيبيمون، 2016، ص80).

وهذا ما يدفعنا إلى فهم الكيفية التي يتمثل بها الأفراد لهوياتهم بين الذات الفعلية والذات الزائفة عبر الفضاءات الافتراضية، ومعرفة طبيعة تمثلات الهوية الافتراضية ومدى توافقها مع متطلبات المجتمع الشبكي خاصة في ظل مجتمع مفتوح على مختلف الثقافات العالمية.

كرس انفتاح المجتمعات على الوسائط المختلفة، مفهوما آخر وهو المجتمع الافتراضي، في مقابل المجتمع المحلي والمجتمع الواقعي، هذه المجتمعات الافتراضية هي كيانات تكنو-اجتماعية خرقت وتغلغلت في سياقات الاجتماعات الواقعية، فأصبحت جزء منها أو حتى قامت بإزاحتها باندماج ولّد انعزالا اجتماعيا آخر، فكانت مواصفاتها مجتمعات لا قيد ولا ضابط ضمنها جغرافيا كان أم ثقافيا. إذ يتضمن المجتمع الافتراضي الواحد نسيجا من لغات، جنسيات، قوميات مختلفة ومجتمعات شديدة التشبيك والتعقيد نسجت مخيالا آخر وتمثلات للهوية، مبتذلة عن السياق المتعارف عليه بضوابطه، خصوصياته وتقاليده، والتي شكلت في الأخير مواطنا افتراضيا، أو بالأحرى مواطنا رقميا، مندمج في أوطان غير أوطانه الأصلية، أو

مدمج لواقعه بافتراضه في صيغة من المشاركة الرقمية أو الحياة الرقمية المشتركة. (ليندة العابد، 2018، ص ص196-197).

ويبدو جليا أن تمثلات الهوية الافتراضية في الفضاء الافتراضي تعد انعكاسا مباشرا لتمثلات جزء بسيط من الذات الفاعلة في الواقع، سواء من حيث طبيعة قيمها أو تصوراتها التي تؤسس وجودها الاجتماعي والافتراضي على حد سواء، بحكم أن جزءا مهما من تمثلاتها في المجتمع الشبكي قد تكون مزيفة وتعبر عن مثل وتطلعات لا تمت بصلة إلى الواقع، لكنها في الوقت ذاته، قد تعكس بعض المضامين التي تبحث لها عن وجود في الواقع. لهذا قد تبرر ممارساتها المقنعة أو المزيفة في الفضاء الافتراضي محاولاتها للتخلص من القيود الاجتماعية في الواقع الفعلي، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار اختلاف تلك التمثلات والدلالات باختلاف مواصفات الفئات الاجتماعية، وطبيعة المجموعات الافتراضية التي تشترك فيها، والغايات التي تسعى إليها. وعليه فإن ممارسات عرض الذات في الفضاء الافتراضي، يمثل رهانا حقيقيا بالنسبة إلى المستخدمين من حيث درجة تمثلهم لقيمهم الاجتماعية وكيفية تفاعلهم معها وكيفية تقبل الآخرين لهم. (كلثوم بيبيمون، 2016، ص72).

ولا يمكن في هذا الصدد التنبؤ بما يمكن أن ينجزه الأفراد الأعضاء في المجتمعات الافتراضية والمتعاملون مع الفضاء السايبري، من تداول المعلومات وتواصل الحركة والتفاعل والانفتاح الكلي على مختلف الأنشطة والأفكار والتوجهات، كل بحسب إمكاناته التقنية ومعارفه التكنولوجية، ومهاراته وقدراته الذاتية في التمثل وإبراز الهوية، والاستعداد الذاتي لتمثيل ما يمكن تمثيله في عالمه الجديد على صعيده الشخصي أو المجتمعي. بمعنى أن التفاعل بين الهويات الافتراضية يأخذ شكله بصورة طبيعية حسب ما توفره ظروف البيئة التكنولوجية المتاحة، حيث يجد الأفراد المشاركون أنفسهم

يلعبون أدوارهم التفاعلية المتوقعة منهم تماما مثلما هو الحال في الحياة الطبيعية، ولكن وفق صورة الإتاحة الرقمية. وفي هذا الصدد يرى إرفينج غوفمان "Erving Goffman " أن التفاعلات البشرية تحدث بطريقة كونها تعتمد على توقعات شرطية حسب حالة أو ظرف التفاعل، وهي تؤثر في اتصال الفرد المشارك في التبادل الاتصالي. (علي محمد رحومة، 2008، ص138).

وتتجلى الهوية الافتراضية في المنتديات الحوارية وغرف الدردشة الانترناتية، والتي يفترض أن تكون انعكاسا لهوية حقيقية. فالفرد في هذه الحالة يسعى إلى التلاعب بهويته بهدف دفع محاوريه والمتفاعلين معه إلى التعامل معه على أساس أن هذه الهوية المتخيلة(الفنتازمية) هي هويته الفعلية، ويستطيع بهذا الشكل أن يشارك في المنتديات الحوارية بهوية أستاذ مثلا بينما هو طالب، أو امرأة بينما هو رجلا...الخ. فقد منحت الانترنت الأفراد إمكانية "تجريب" وتقمص أشكال مختلفة للذوات/ الهويات، بهدف معاينة ماذا يمكن ان يحصل عند تقمص الفرد لهويات مختلفة. هذا الأثر لا يمكن أن يتحقق إلا عندما تغدو الذات الافتراضية هوية مقبولة ومعترف بها ضمن العلاقة التفاعلية مع الآخر، مع افتراضنا بأن هذا الآخر قد يكون هو نفسه هوية فنتازمية. (رابح الصادق، 2007، ص02)

وهو نفس ما ذهب إليه **علي محمد رحومة** حيث أكد أن عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف وليس طرفين وهي الشخص العادي والهوية الافتراضية والأشخاص الآخرين". وهكذا يظهر أن الفرد يتمتع بقدر من الحرية في عرض هويته الافتراضية فيمكنه أن يقدم نفسه كما يشاء وعلى النحو الذي يريده وهو السلوك الذي قد يتعذر عليه في المجتمع الواقعي، حتى أن بعض العلماء أطلقوا على العوالم الافتراضية اسم "ورشات الهوية""Work Identity". (الزهرة غمشي، 2016، ص264).

بمعنى أن الفضاءات الافتراضية تتيح للأفراد امكانية اختيار كيفية استعراض ذواتهم للآخرين، وبذلك إمكانية تشييد وتجريب ذوات افتراضية والتعبير عن الذات على النحو الذي يريدونه، وهي ذوات مزيفة وتختلف جوهريا عن الذوات الحقيقية، تمكن الأفراد من اكتشاف قدراتهم وامكاناتهم المختلفة، بعيدا عن الأبعاد الفيزيائية والجسدية. عن طريق الإبحار في قارة زرقاء، وحرية في استخدام الأسماء المستعارة كقناع للذات ودون الكشف عن الشخصية الحقيقية، للقفز على المحرمات الاجتماعية. ولإخفاء تجاربهم الافتراضية عن الآخرين، حيث يتيح العالم الافتراضي "للمتلاعبين بذواتهم" إمكانية اختيار أقنعتهم (الأسماء، الأعمار، الصور –حيث يتمثلون صورة رمزية مختلفة تماما عن الذات في الواقع–، الأدوار، الكفاءات، المؤهلات والوظائف...الخ)، مثلما يرغبون أن يتمثلوا به أمام الآخرون، وأن يستعيروا ذوات فنتازمية/تخيلية للتعريف بأنفسهم وبآرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم وغير ذلك، بطريقة مغايرة لما هم عليه في الواقع، وترصد ردود الفعل أو رجع الصدى الإيجابي أو السلبي، للتعرف على ذواتهم وبناء تصورات محددة عنها عن طريق ردود الأفعال حول تجاربهم الهوياتية وكيفية تقبل الآخرين لهم، فالأفراد هنا بصدد استكشاف ذواتهم لينتجوا هويات متوافقة مع تطلعاتهم، في خضم مشهد مسرحي بكل تفاصيله،

كما يفترض في الهوية الافتراضية المستعارة في فضاء الدردشة الانترناتي، أن تحيل على الشروط الفيزيائية والاجتماعية الحقيقية "للمتلاعبين بهوياتهم". فالمتلاعبين بهوياتهم عندما يزيفون هوياتهم، ضمن غرفة ما للدردشة فهم لا يكشفون حقيقتهم، سعيا لتأكيد هوياتهم الأخرى (الثانية، الثالثة، الرابعة...الخ). ذلك أنه بمجرد الدخول في عملية حوارية، قائمة على ثنائية السؤال والجواب مع الآخر، تتحول الذات

الافتراضية من كونها تمثيلا فنتازميا للذات الحقيقية إلى "ذات" موجودة بالفعل في عين الآخر المحاور. (رابح الصادق، 2007، ص02).

وفي العالم الافتراضي يختار الأفراد هوياتهم، ويتلاعبون بها، ويشوهونها أو يبرزونها بوصفها بناء، وإلى جانب ذلك، يمكن للناس أن يختاروا أكثر من هوية، وأن يراجعوا هوياتهم المتعددة بيسر، ويضمنوا أنّ "ذاتهم" لم تعد رهينة تاريخهم إلا بقدر ما هي رهينة اسمهم أو جسدهم أو غير ذلك. وفي إطار هذه البنية، ما عادت الذات أو الهوية أمرا تتوسطه الشبكة فحسب، بل باتت الهوية ذاتها تكتسب سمات الشبكة. (دارن بارني، 2015، ص164). ومع ذلك لا يجب أن نتصور أن استحداث أكثر من هوية عملية يسيرة. فبناء هويات تفاعلية ذات طبيعة متناغمة مكانيا وزمانيا، أمر تعترضه الكثير من العوائق والاكراهات، وهو ما يجعل عملية تبنيها ليست بالأمر السهل. ذلك أن فاعلية هذه الهويات تكمن في قدرتها على اقناع المتحاورين معها في غرف الدردشة والمنتديات، بأنها تحيل على هوية فيزيائية حقيقية، وتحاشي الممارسات التي يمكن أن تشكك فيها أو تفضحها. إن هذه الهويات الافتراضية لا تبعث في نفس أصحابها الإحساس بالرضا المتعالي، إلا عندما يتم التحاور معهم باعتبارهم هويات حقيقية وليست فنتازمية كما وصفها الصادق رابح، وحتى يتحقق هذا الوضع لابد لهذه الهويات أن تحرص على عدم الوقوع في التناقضات أثناء عملية التبادل، وأن تحرص على أعلى درجات التناغم بين المستوى اللغوي المستخدم في التبادل والمستوى التعليمي، وعدم التنافر بين الرأسمال الثقافي الذي يتم توظيفه والسن الذي أعلنت عنه الهوية الفنتازمية مثلا. ذلك أن أي ممارسة مرتبكة أو تفتقد للتناغم، تكون نتيجتها انكشاف الهوية وفقدانها لمصداقيتها في أعين محاوريها. وهو ما يشكل أحد الإكراهات التي تعيشها الهويات الافتراضية في الفضاء الانترنيتي. (رابح الصادق، دس، ص127).

إن تمثل الهوية، كبناء اجتماعي قابل دوما لأن يفك ويعاد تركيبه، يعني اعتبارها نتاج عمل هوّيتي يبحث عن المعنى وطرق التعبير، لكنه بحث مضن كلما كانت الهوية عند صاحبها مشروعا للإنجاز، واختبارا متذبذبا يتحسس طريقه من وراء تعقب هوية افتراضية مرسومة في ذهن صاحبها وتجمع أجزاؤها في فضاء التدفق الهائل والصاخب للصور والعلامات والنماذج الثقافية المتباينة والمتنوعة... هي تجربة اجتماعية يعطيها الفاعل معنى، ويبني بها دلالات متلائمة معه. بيد أن التجربة الاجتماعية للفرد في تصور "دوبيه" "F.Dubet" ليست اسفنجة (تمتص الاجتماعي وتستنبطه)، وإنما هي طريقة لبناء العالم. وبقدر ما تكون التجربة الاجتماعية قضية الفرد وحده ومتوقفة على مدى وعيه بهويته، فإنها أيضا محفوفة بمخاطر الاغتراب. ليس الاغتراب الاقتصادي بالمعنى الماركسي ولا الاغتراب الثقافي عند أدورنو، وإنما اغتراب سيميائي متعلق بكيفية امتلاك الفاعل الاجتماعي المصادر الرمزية لهويته دون نسخها بسذاجة عن العوالم المطروحة عليه من طرف النسق. فما يتضمنه النسق من منطق أجهزة وأسواق يعمل على قولبة ذات الفاعل وتبضيعها طواعية للانصياع والاستهلاك. (عادل بن الحاج رحومة، 2010، ص ص 143-144).

خاتمة:

يمكن القول ويشكل مستفيض أن الفضاءات السيبرانية التي برزت بشكل غير مسبوق بفضل المجتمع الشبكي قد ألفت بضلالها علينا أكثر من أي وقت مضى، وأنتجت واقعا مستجدا بقيم ومعايير واتجاهات جديدة، مغايرة تماما لما كانت عليه وبشكل غير مسبوق، وأصبح الفرد يعيش فعلا عصر الموجة الثالثة كما أسماها "ألفين توفلر" "Alvin Toffler"، بكل أبعادها وحيثياتها، في اللايقين، هذه الموجة أزاحت كل ما هو واقعي، حيث أصبحت الإقامة في عوالم افتراضية حتمية لابد منها خاصة

في ظل الانتشار الكثيف للشبكات الاجتماعية الافتراضية، التي شكلت بديلا رمزيا بامتياز، كما أتاحت مجموعة من الديناميات والتفاعلات الاتصالية التي سهلت الولوج والتجول داخل الفضاءات الافتراضية إن صح التعبير والإقامة فيها، وبناء هوية وأسلوب حياة مختلفين في ظل بيئة جذابة، واعتزال الواقع كليا، والنزوح من الواقعي إلى الافتراضي. هذا النزوح فرض علينا إعادة برمجة الوجود الاجتماعي وفق ما يتماشى ويتوافق مع قيم ومعايير الوجود الافتراضي، حيث برزت أدوار جديدة للأفراد ساهمت بشكل فعال في انتاج وإستنبات هوية افتراضية جديدة سارعنا إلى تبنيها. حيث أصبحت المجتمعات المعاصرة تعيش بين عالمين متناقضين ومتداخلين في نفس الوقت أولهما واقعي يسعى فيه الأفراد إلى تأكيد هوياتهم في ضوء التغيرات المحيطة بهم، وثانيهما افتراضي أفرز مفاهيم جديدة عن الذات تتسم بالمرونة والتنوع. وبين تضاد ثنائي القطب بين الشبكة والذات/ الهوية، كما أقر ذلك "مانويل كاستلز" " Manuel Castells" هذا التضاد يفرض تحديات ورهانات جديدة وتغيرات اجتماعية كثيرة تشكل حلبة صراع، كما تشكل بؤرة أزمة الانسان المعاصر التي ولّدتها العولمة وبروز هوية ما بعد الحداثة، ويمثل الاغتراب سواء الاغتراب عن الذات أو الاغتراب عن الآخرين والعزلة الاجتماعية، نتيجة طغيان الاستهلاك، والانفصال الهوياتي، أو بروز هويات متشظية، وتماهي الواقعي في الافتراضي أو الضياع بين عالمين متناقضين كأهم مظاهرها وأبعادها.

المراجع:

1. بارني، دارن. (2015). **المجتمع الشبكي**. تر الجمعاوي، أنور. (ط1). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
2. رحومة، علي محمد. (2008). **علم الاجتماع الآلي –مقاربة في علم الاجتماع والاتصال عبر الحاسوب–**(دط). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
3. رفعت، محمد مصطفى. (2018). **الرأي العام في الواقع الافتراضي وقوة التعبئة الافتراضية** (ط1). القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
4. غيدنز، أنتوني. (2005). **علم الاجتماع**. تر الصياغ، فايز (ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
5. الصادق، رابح. (جوان 2010). **الانترنت كفضاء مستحدث لتشكل الذات. المجلة المصرية لبحوث الرأي العام**. المجلد 08، (العدد02)، ص 01-25.
6. العابد، ليندة. (أوت 2018). **الهوية الافتراضية والمواطن الافتراضي في الفضاء السايبري**. مجلة العلوم الاجتماعية، (العدد05)، ص194-211.
7. الغزواني، إدريس. (2020). **مانويل كاستلز ومفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع إلى الشبكة: نحو مقاربة تأويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات. مجلة عمران**، (العدد33)، ص143–162.
8. الفرفار، العياشي. (جانفي 2021). **المجتمع الافتراضي والسلوك الاجتماعي: دراسة ميدانية لسلوك المنخرطين في شبكات التواصل الاجتماعي –الفيسبوك نموذجا–، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات**، المجلد04، (العدد01)، ص 153-172
9. بن الحاج رحومة، عادل. (2010)، **تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية، مجلة إضافات**، (العدد09)، ص 133-145.
10. بيبيمون، كلثوم. (2016). **السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية. مجلة إضافات**، (العددان، 33-34)، ص69-84.
11. رايس علي، ابتسام. ميلودي، محمد. (نوفمبر 2019). **الهوية الرقمية على مواقع التواصل الاجتماعي: دراسة في الآثار والتمثلات. مجلة الدراسات الإعلامية**، (العدد09)، ص 259–272.

12. سلامي، اسعيداني. لقيقط، أسماء. (مارس 2021). **تشكل الهوية الافتراضية في ظل تنوع السياقات الثقافية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، مجلة التمكين الاجتماعي**، المجلد03، (العدد 01). ص 136-147.

13. غمشي، الزهرة. (2016). **الهوية الافتراضية بين الذات الأصيلة والذات الزائفة –قراءة في الاغتراب الذاتي للمتلاعبين بالهوية عبر الفضاءات الافتراضية من منظور إريك فروم**. مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 06، (العدد02)، ص 247-271.

14. لونيس، باديس. (ديسمبر 2014). **الإعلام الجديد والهوية – دراسة نظرية في جدلية التأثير. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، (العدد 31)، ص 265-294.

15. طلحة، مسعودة. (23/22 أكتوبر 2018). **الهوية الرقمية "مأزق الاستخدام والخصوصية". مداخلة مقدمة لأعمال المؤتمر الدولي "الظاهرة الإعلامية والاتصالية في ظل البيئة الرقمية"**، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

16. بن بلعباس، بدر الدين. (2019). **استخدامات الفيسبوك والهوية الافتراضية لدى الطلبة الجامعيين**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

17. بن عمرة، بلقاسم أمين. (2018). **دور الوسائط الاتصالية الجديدة في تشكيل الفضاءات العمومية الهامشية النسائية داخل الحيز الافتراضي**، أطروحة دكتوراه في علوم الاعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر

18. غمشي، الزهرة. (2018). **رأس المال الاجتماعي الافتراضي: قراءة في سوسيولوجيا العلاقات الاجتماعية في مواقع الشبكات الاجتماعية –دراسة على عينة من مستخدمي الفايسبوك الشباب بالجزائر–**، أطروحة دكتوراه في علوم الاعلام والاتصال، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر.

19. نومار، مريم نريمان. (2018). **تمثلات المرأة لذاتها عبر مواقع الشبكات الاجتماعية–دراسة وصفية تحليلية لهوية المرأة الجزائرية عبر موقع فيسبوك–**. أطروحة دكتوراه في علوم الاعلام والاتصال وعلم المكتبات، جامعة باتنة1، الجزائر.

20. الصادق، رابح. (دس). فضاءات رقمية –قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات–. دار النهضة العربية. من الموقع: http://books.google.dz، تاريخ المشاهدة: 2021/04/19.

21. الفرفار، العياشي. (19 جوان 2019). المجتمع الافتراضي والتصور الدوركايمي: من المجتمع الصلب إلى المجتمع الافتراضي. من الموقع: http://m.ahewar.org، تاريخ المشاهدة: 2021/04/23

22. الفرفار، العياشي. (30 جوان 2019). الهوية الافتراضية والإقامة خارج الذات. من الموقع: http://www.b-sociology.com، تاريخ المشاهدة: 2021/04/23